المبحث الاول

التلفزيون وتغير القيم

من اهم ما يميز مجتمعنا الانساني على مر العصور هو انه في حالة تغير مستمر والتغير هو السبب لما وصل اليه الانسان من تقدم ورقي وما سيصل اليه ابناؤنا واحفادنا من مراحل قد تفوق مخيلتنا وتوقعاتنا، فاجدادنا القدامى لم يتوقعوا (مثلا) اختراع الكهرباء، ولم يتوقعوا وصول الانسان إلى القمر الذي كانوا يقدسونه حد العبادة في وقت من الاوقات.

اذن التغير عملية ديناميكية مهمة تناولها العلماء والباحثون في كثير من المجالات، وتكاد لا تخلوا الكتب من اهمية أو آثار أو اسباب التغير، حتى ان اشرف هذه الكتب (القرآن الكريم) قد تناولها في آياته الكريمة (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [١].

والتغير الاجتماعي هو جزء حيوي من عملية التغير في المجتمع الانساني، وهو حقيقة ماثلة لدى كافة المجتمعات وقد اصبح احد السنن المسلم بها، بل اللازمة لبقاء الجنس البشري وتفاعل انماط الحياة على اختلافها لتحقق لدينا باستمرار انماط وقيم اجتماعية جديدة يشعر في ظلها الافراد بأن حياتهم متحركة ومتجددة وانها في تحركها وتجددها تتطلب منهم الحركة الدائبة والمسايرة الكاملة دون تخلف أو تشبث بالقيم[٢].

---

(١) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية ١١.
(٢) احمد النكلاوي، التغير والبناء الاجتماعي، مصدر سابق، ص٦.

وقد يحدث التغير بسهولة وسرعة في الظواهر الحضارية التي تعتمد على ادخال المستحدثات المادية والصناعية والتكنولجية ويكون عادة بطيء وصعب في الظواهر الاجتماعية التي تعتمد على اعتناق عادات وتقاليد جديدة وبناء اساليب فكرية وقيم خلقية حديثة(١).

اذن فالتغير الاجتماعي هو عملية تبديل أو احلال نظم وقواعد أو تركيبات في جزء أو اكثر من اجزاء البناء الاجتماعي بما ينعكس اولا على الجزء الذي حدث فيه التغير ومن ثم ترك آثاره على باقي اجزاء البناء وذلك خلال فترات متباينة تختلف باختلاف العامل المسبب للتغير وباختلاف طبيعة الجزء الذي حصل فيه التغير في البناء الاجتماعي.

وقد اكد ابن خلدون على ان التغير يشمل اجزاء البناء الاجتماعي كافة بقوله:

((ان احوال العالم والامم وعوائدهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال إلى حالة وكما يكون ذلك في الاشخاص والاوقات والامصار، وكذلك يقع في الآفاق والازمنة والدول، سنة الله قد خلت في عباده))(٢).

ان هذه السنة التي تحدث في المجتمعات كافة لا تكون موحدة الشكل أو الحجم في المجتمعات التي تحدث فيها، فالتغير يحدث بحسب طبيعة المجتمع وظروفه والعوامل الداخلية والخارجية المحيطة به وبحسب طبيعة العامل المسبب للتغير وقوته، فالحروب عامل مهم من عوامل التغير في العالم لكن

(١) وقائع ندوة (نحو خطة قومية لثقافة الطفل العربي)، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، ١٩٩٤، ص١٤٨.
(٢) ابن خلدون، مصدر سابق، ص٢٨.

آثار ها في تغير مجتمعات الدول المشاركة في الحرب تختلف من دولة إلى اخرى، فتغير الدول الخاسرة في الحرب ليس كتغير الدول التي ربحت الحرب، والتغير في بناء الدول الخاسرة يختلف باختلاف مكونات هذا البناء واعتمادا على قوة الحرب ومدتها وشدتها ونتائجها على كل جزء من اجزاء المجتمع.

والقيم هي جزء مهم وحيوي من البناء الاجتماعي، وان أي تغير في هذا البناء سوف ينعكس على باقي اجزاء البناء، ولكن على عد ان القيم هي قواعد اساسية للسلوك تتسم بصفة نسبية للثبات فانها تتعرض أيضاً للتغير ليس في شكل القيمة أو طبيعتها ولكن في النظرة اليها أو في طبيعة تفسيرها أو تحدياتها لانماط السلوك. فالنظام القيمي بعدّه جزءاً اساسياً من البناء الاجتماعي يتعرض للتغير، ولكن طبيعة هذا التغير تكون بطيئة بسبب قوة هذا النظام ورسوخ قواعده لدى ابناء المجتمع وتمسكهم بها مما يجعل تغييرها ليس بالامر اليسير، فمن السهل مثلا ان يبدل الانسان بعض التفاصيل الكمالية في حياته اليومية (ملابس، أثاث، سيارة.. الخ) لكن من الصعب جدا ان يغير نظرته إلى قيمة (الشرف) مثلا، نظرا لما تشكله من اعتبارات قوية لديه من احترام وتقديس وتمسك بهذه القيمة له ولابناء مجتمعه خاصة في المجتمع العربي الاسلامي لانها تشكل مع باقي القيم القاعدة الرئيسة المسؤولة على انماط سلوكه واحكامه على سلوك الآخرين ومكانته بين الناس واحترامهم لشخصيته وما تحمله هذه الشخصية من قيم متماثلة مع قيم المجتمع الذي يعيش فيه.

لذا فالتغير في الجوانب المادية يكون اكثر سهولة من التغير في الجوانب المعنوية وذلك لما تتسم به هذه الجوانب من صفة الثبات النسبي لدى الافراد، وهذا ما اكده (اوكبرن) في نظريته عن التغير الاجتماعي اذ اكد ان التغير في

الجوانب المادية يكون اسرع واقوى من التغير في الجوانب المعنوية والروحية ومن ثم يحدث ما اسماه الفجوة الحضارية التي تحدث فيها المشكلات الاجتماعية(*).

والتغير الذي يطرأ على نسق القيمة قد يكون رأسيا فيقصد به تعديل وضع القيمة في سلم القيم من مجتمع وقد يكون افقيا فيعني تعديل أو تحول في معنى القيمة ومضمونها(١). فمثلا يتعرض الترتيب القيمي في اثناء الحرب إلى التغيرات طبيعية لهذا المؤثر اذ تنتقل قيم الوطنية والدفاع عن المجتمع إلى رأس السلم القيمي تاركة ورائها باقي القيم بحسب اهميتها وخطورتها في مثل هذه الظروف، هذا فيما يتعلق بالتغير العمودي وعلى سبيل المثال تتغير قيمة الحصول على المال والسلطة من الحصول عليها باساليب شرعية مقبولة اجتماعيا إلى اساليب غير شرعية قائمة على التلاعب والمضاربة واستعمال الاساليب الملتوية للوصول إلى الاهداف، كمثال للتغير الافقي.

كذلك الحال إلى دخول قيم جديدة تضاف إلى القيم القديمة، فالقيم القديمة تبقى حاضرة تزاحم القيم الجديدة في كل عصر، وان قيم الماضي لا تسمح بانبثاق قيم جديدة من داخلها بفعل التطور والاحتكاك مع الثقافات الاخرى الا اذا تم الفصل في ما بين ما يلائم العصر وما لا يلائمه(٢). ففي الاغلب الاعم ان الناس تعودت على نمط اجتماعي معين في اسلوب حياتها و هذا النمط يشمل نسقاً قيمياً معيناً، وان هذا النسق يحقق لدى ابناء المجتمع مستوى معيناً من

(*) لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى: ابراهيم العسل، الاسس النظرية والاساليب التطبيقية في علم الاجتماع من ص٦٣ - ٧٩ نظريات التغير.

(١) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص٤٩٠.

(٢) محمد عابد الجابري، نظام القيم في الثقافة العربية الاسلامية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢١٩، ١٩٩٧، ص١٦.

الرضى والقبول ومن الصعب التحام هذا النسق وتغييره في مدة قصيرة، فالتعود على المألوف والخوف من الجديد تعد اسباب لاعاقة دخول الجديد من القيم المعاصرة فلابد من ملاءمتها مع القديم، أي الانسجام الذي هو درجة اتفاق الفكرة المستحدثة أو القيمة المستحدثة مع القيم السائدة لدى المتبنين لها وتجاربهم السابقة معها مثل الدعوة إلى تنظيم النسل في البلدان التي يحول دينها من دون تشجيع هذا الاتجاه، وكذلك عدم انسجام فكرة تجفيف اللحوم وتصنيعها لاغراض التسويق الخارجي في الهند مع القيم الثقافية السائدة فيها يحول من دون انتشار الفكرة في هذه الدولة(١).

والقيم التقليدية تكون اكثر قوة ومحافظة في المجتمعات التقليدية والنامية وذلك ببطء عملية التغير فيها بصورة عامة وفي المجالات كافة و هذا الركود والتغير البطيء يعزز من مكانة القيم التقليدية التي لا يشجع قسم منها على عملية التغير ومن ثم فان تمسك الناس بها يكون قوياً و من الصعب تغيير ها، وعلى العكس ففي المجتمعات الصناعية المتحضرة تكون سرعة التغير على اوجها في المجالات كافة وذلك لان السرعة والتغير هما ايقاع الحياة هناك فضلا عن ان تأثير الصناعة والتحضر السريع جعل من عملية التغيير هدفا ونتيجة اذ تتصارع هذه المجتمعات فيما بينها للحصول على مكانة اعلى من خلال عملية التغير.

وعلى العموم فان سرعة تقبل الناس للافكار والقيم الجديدة تكون اكبر في هذه المجتمعات وذلك نتيجة التكيف مع عمليات التغير المستمرة في مجالات الحياة كافة، ففي كل يوم هناك اكتشاف جديد واختراع جديد لآلة أو وسيلة أو

(١) افريت م. روجز، الافكار المستحدثة وكيف تنتشر، ترجمة سامي ناشد، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٦٢، ص١٦٤.

علاج، مما ينعكس على تغير اساليب الحياة وطرائق استعمال هذه الاختراعات التي وجدت اصلا لخدمة الانسان والتي تنعكس على انماط سلوكه وطرائق معيشته، فقد لاحظ الباحثون تأثير التكنولوجيا في الاسراع بعملية التغير الاجتماعي اذ ان المجتمعات سريعة التغير تتميز بقدرتها على تقبل الانماط التكنولوجية والاختراعات المادية مما يوضح العلاقة القوية بين التطور التكنولوجي والتغير الاجتماعي(١).

ولا يخفى ما تركته الثورة الصناعية من آثار على المجتمعات كلها التي دخلتها ولاسيما انكلترا التي ظهرت فيها واوربا بشكل عام اذ انتقلت هذه المجتمعات نقلات جبارة على مستوى التنمية والتحضر مما انعكس على بنائها الاجتماعي الذي تغير بشكل كبير هو الآخر، فالتصنيع والتنمية الاقتصادية غالبا ما تترك آثارها وانعكاساتها على مؤسسات المجتمع غير المادية التي تتكون منها القطاعات والعناصر البنيوية للمجتمع(٢).

ولعل من ابرز مظاهر التصنيع والتكنولوجيا في عصرنا الحاضر هو تقدم وسائل الاتصال بشكل رئيس فالثورة المذهلة الحاصلة في تكنولوجيا الاتصال والابتكارات الالكترونية المتطورة وسعت من امكانات وقدرات الوسائل المذكورة وضاعفت من دورها في المجتمع الانساني لا بل نستطيع القول بانها قد وضعت الجيل الحالي والاجيال القادمة امام تحديات كبيرة، كما ادى التقدم والابتكار الحاصل فيها إلى تصغير العالم واختصار بعدي المسافة والزمن مما جعل عملية الاتصال تتحول من طابعها المحدود بشريا وزمنيا إلى طابعها المعاصر غير المحدود بحدود اقليمية أو بشرية أو زمانية حيث بدا

(١) سعيد بن مبارك الزعير، مصدر سابق، ص٥٣.
(٢) احسان محمد الحسن، التصنيع وتغير المجتمع، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١، ص٥.

بمقدورها توصيل رسائلها الاعلامية بشكل مباشر وآمن إلى مختلف شعوب العالم الامر الذي اتاح لها فرصا واسعا لاحداث التأثيرات الحضارية والثقافية المتفاوتة سواءاً على مستوى بناء الشخصية الانسانية أم على مستوى تكوين القيم الاجتماعية والمعايير السلوكية(١).

وتعد وسائل الاعلام ابرز وسائل الاتصال في العصر الحالي ولها علاقة وثيقة بالقيم والمعايير الاجتماعية فجميع وسائل الاعلام تهدف إلى تغيير اتجاهات الافراد والجماعات في الوقت نفسه وتنقل اتجاهات وافكار وقيم جديدة اليهم ولما كان تطوير القيم الاجتماعية من الامور التي تتطلب جهدا كبيرا فضلا عن منظور تاريخي يقيّم لاصالتها وامتدادها في جوف الكيان الاجتماعي والثقافي للجماعة فان دور اجهزة الاعلام ولاسيما في مجال تطوير القيم العتيقة وادخال قيم جديدة من الادوار بالغة الاهمية ولاسيما في اطار المجتمعات الشعبية والنامية والمتحولة(٢). ان وسائل الاعلام اسهمت بطريقة فعالة في تغير العادات والقيم وفي ترسيخ المحمود منها ونبذ ومقاومة الضار منها، وبفضل تلك الوسائل اصبحت العادات والتقاليد والقيم متشابهة بين كثير من الشعوب عن طريق التأثير والتأثر وفيما يتعلق بالقيم بالذات فان دور وسائل الاتصال من حيث التأثير فيها يكاد يكون مقصورا على ترسيخ المرغوب منها وتعميمه أو تعديل المرفوض منها ليصبح مقبولا لدى عامة الناس(٣).

---

(١) مصباح الخيرو، علاقة وسائل الاعلام بانحراف الاطفال، مصدر سابق، ص١٢٢.
(٢) احمد النكلاوي ، المدخل السوسيولوجي للاعلام، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٧٤، ص١٠٤.
(٣) بدر احمد كريم، دور المذياع في تغير العادات والقيم في المجتمع السعودي، دار العلم للطباعة، ١٩٨٦، ص٦٢.

ولكن بعض هذه الوسائل تقوم في احيان ليست بالقليلة بتجميل القيم غير المرغوبة في المجتمع من خلال تقديمها بصورة منسقة ومرتبة، كتقديم سلوكيات للعنف على انها بطولة أو شجاعة أو تقديم مشاهد الاغراء الجنسي بقصد الاثارة وهكذا، مما يؤثر على المتلقي في ميله إلى تقليد هذه السلوكيات ومن ثم اكتسابه لقيم سيئة مشوهة قدمت لهم على طبق من فضة وبصورة محببة اليه.

وخلاصة القول ان وسائل الاعلام تعد احدى عوامل التغير الثقافي والاجتماعي المهمة، بيد ان هذه الوسائل تكون سلاحاً ذا حدين قد يقطع دابر المعتقدات وعناصر التراث الشعبي بما يملكه من وسائل جذابة كما انه في نفس الوقت يدعم التراث السائد ويحث على المزيد من التمسك به(١).

والحديث عن الدور الذي تقوم به وسائل الاعلام بصورة عامة في مجتمعنا المعاصر يقود بالضرورة إلى ابراز الدور الذي يقوم به التلفزيون في هذا الخصوص لامتلاكه قدرة فريدة على توصيل الافكار والرسائل، وقد تجلت هذه القدرة التأثيرة تماما في اسهامه جذبا إلى جنب مع التنظيمات الاجتماعية الاساسية كالاسرة والمدرسة والمجتمع المحلي في ارساء القيم الاجتماعية وترسيخها أو تغيير ها وتعديلها فضلا عن اسهامه في توجيه مظاهر السلوك الانساني(٢).

ويعد التلفزيون من اهم وسائل الاعلام واخطر ها، ذلك الجهاز الصغير الذي احتل البيوت كلها ويتابعه اكثر الناس يوميا وتلتف حوله العائلة كما كانت تلتف في السابق حول الجد والجدة لتروي لهم القصص والحكايات، فهو يروي

(١) عبد الله الخريجي، التغير الثقافي والاجتماعي، جدة، مطبعة رامتان، ١٩٨٣، ص٣٣١.
(٢) مصباح الخيرو، مصدر سابق، ص١٢٧.

لنا كل شيء ويزودنا بالخبرات والمعلومات والاخبار عن أي مكان في الكرة الارضية مختصرا المسافات والازمنة كلها التي تفصلنا عن المجتمعات الاخرى، يقدمها لنا بالصورة والصوت في ضمن صياغة اخراجية تجذبنا لساعات من دون ملل فهو يعد من اهم اختراعات القرن العشرين. ونظرا للمكانة التي احتلها التلفزيون في حياتنا فانه يمارس تأثيرات في الاصعدة كافة فمنه نقتبس معارفنا ومعلوماتنا، وتشير احدى الدراسات التي اجريت على طلبة الاعدادية في امريكا ان الطلبة يرون ان التلفزيون يعد ثاني اهم مصدر للمعلومات(١).

ومنه نستقي ازيائنا ونسمع اخبار الآخرين من حولنا، وبه تزدان افراحنا وهو الذي يجمعنا لذا فمن الطبيعي انه يؤثر فينا تأثيرا ليس باليسير، والعلاقة بين التلفزيون والقيم علاقة وثيقة فاكثر ما يقدم في التلفزيون هي نماذج قيمية صبغت باشكال متعددة تبعا لاهداف الجهة التي قامت بتنفيذ البرنامج ولكي تناسب فئة عمرية معينة أو نموذج ذوقي معين، فنلاحظ تارة ان التلفزيون يقدم نموذجاً لشخصية تاريخية مهمة وتارة يقدم نمطاً لحياة جماعة من الناس في بلد معين من خلال مسلسل تلفزيوني، واخرى يقدم شخصية سياسية مؤثرة وهكذا.

اذن فالتلفزيون يقدم وبصورة مستمرة من خلال برامجه نماذج قيمية واحكام لموضوعات مختلفة (اجتماعية، وسياسية، ودينية، وترفيهية.. الخ) تمارس تأثيراتها في المشاهدين باشكال تأثيرية مختلفة واحجام بحسب طبيعة البرنامج وما يقدمه وبحسب وضعية ونفسية المشاهد وبحسب فئته العمرية ومستوى ذوقه وثقافته.

---

(1) Hahn, Garolel, "The effects of the school, media and famliy on the civic values and behaviorse of youth", urbino, Italy, 1988 , p5.

ويذصب تأثير التلفزيون بالدرجة الاساس في الثقافة بمعناه العام التي تتمثل باذماط القيم والاتجاهات والافكار وديناميات السلوك الانساني، بطبيعة الحال فان هذا التأثير لا يحدث بطريقة فورية بل ان التلفزيون يترك آثاره على المدى البعيد(١).

اذن فالسؤال المطروح هنا كيف يؤثر التلفزيون في القيم وما حجم هذا التاثير وما هي نتائجه..؟

كما اشرنا في الاسطر السابقة فان التلفزيون يمارس تأثيراته في الاتجاهات كافة ومنها القيم، ولكن تأثيره فى القيم لا يكون مباشراً بل يحتاج إلى مدد زمنية طويلة وذلك لان القيم تكون راسخة لدى ابناء المجتمع وليس من السهل تغيير قيمة معينة بين يوم وليلة اذ يجب التخطيط لها لمدة ليست بالقصيرة من خلال بيان عدم صلاحيتها للمدة الزمنية الحالية وتأكيد قيم اخرى مناقضة لها وبيان سلبياتها (او سلبيات الالتزام بها حاليا) مع توضيح لاهمية وفوائد القيم الجديدة التي تحل محلها، أو من خلال التخطيط لتغيير النظرة إلى قيمة معينة من حيث المكانة التي تحتلها لدى الناس والتقليل من اهميتها تدريجيا والنظر اليها من زاوية اخرى اكثر ملاءمة لاسلوب الحياة الآن، وكمثال لالغاء قيمة (الثأر) من خلال اسهام التلفزيون مع باقي وسائل الاعلام ومؤسسات المجتمع لالغائها واحلال سلطة القانون في تنفيذ العقوبات، اما حجم التأثير فانه يختلف باختلاف نوعية القيمة نفسها ومكانتها في المجتمع، ومن اهم نتائج التغير القيمي هو صراع القيم وهذا ما سنتناوله في الصفحات القادمة اذ

(١) عبد الرزاق نعاس، وظيفة التلفزيون الثقافية، رسالة دكتوراه غير منشورة، بغداد، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٧، ص٥٣.

سنحاول توضيح كيفية حصول التغير القيمي الناجم من تأثير التلفزيون ومن ثم صراع القيم.

ان امكانية التغير للنسق القيمي ليست قليلة الاحتمال بل انه يتغير تحت ضغط عوامل متعددة منها اندفاعات الناس نحو التكنولوجيا الجديدة (كالتلفزيون) فضلاً عن عوامل اخرى نفسية واجتماعية[١].

فالتلفزيون لا يعمل في فراغ وهو كوسيلة اعلامية ذات فاعلية اكثر من غيرها بحيث يمكن ان يصبح عنصراً تكوينياً ويخلق اتجاهات جديدة وذلك للاشخاص الذين لم تتبلور قيمهم واتجاهاتهم بعد ويصدق ذلك على الاطفال اكثر من غيرهم، ولكن دور التلفزيون في تدعيم القيم والاتجاهات يكون اكثر من دوره في تغييرها وتعديلها[٢]. فهو من حيث كونه احد وسائل الاعلام اما ان ينشط القيم السائدة والاتجاهات السائدة من خلال التشجيع عليها والحث على الالتزام بها في السلوك الاجتماعي وذلك من خلال اختيار المواد الخبرية أو المسلسلات والافلام التي تحمل قيما من نوع معين خاصة تلك الموجودة في اطار النظام الاجتماعي السائد وتدعيم القيم والاتجاهات السائدة فعلا واضافة الجديد لها وتطويرها باتجاه اكثر تأثيرا في حياة الناس أو يقوم بتحويل القيم والاتجاهات السائدة إلى قيم واتجاهات جديدة قد تكون معاصرة أو مستقبلية[٣].

أي ان دور التلفزيون يتلخص في تدعيم القيم الاجتماعية السائدة من خلال عرض برامج تحملها في طياتها على فترات متكررة لغرض ترسيخها أو

---

(١) محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، الاسكندرية، دارالمعرفة الجامعية، ١٩٧٠، ص٢٣٨.

(٢) احمد بدر، دور التلفزيون في التنشئة، الرياض، جهاز تلفزيون الخليج، ١٩٨٣، ص٨ - ٩.

(٣) عمران كاظم عطية، مصدر سابق، ص٨٤.

تقويتها من خلال التكرار أو تحويل النظرة اليها كما قلنا لكي تتناسب مع ما هو معاصر، فهو يمارس تأثيره حينما يعرض الصور والآراء مرارا وتكرارا ولا سيما حين يتم ذلك من خلال الاطار التمثيلي، وكلما عرضت المسلسلات المختلفة القيم نفسها والآراء نفسها في الناس كان تأثيره اشد فعالية[١].

فاذا استمر التلفزيون يقدم للناس البرامج التي ترضيهم وكانت هذه البرامج غير مختلفة اختلافا جذريا في اهدافها عن القيم والاتجاهات السائدة بينهم هذا يؤدي إلى تثبيت هذه القيم والاتجاهات المتصلة بها، اما اذا هدفت البرامج إلى تغيير هذه القيم فان الهيئة المسؤولة لا تقدم القيم الجديدة دفعة واحدة وتدخلها في مقدار طفيف فيكون اثرها بطيئا معدوما[٢].

لذا فان ادخال قيم جديدة أو تعديل قيم قديمة أو تدعيمها يجب ان يحصل بصورة منتظمة ومنسقة لكي تحقق اهدافها، فالتلفزيون لايمكن ان يقوم بالدور الخطير في تناول القيم والمفاهيم والممارسات الا على وفق خطة مدروسة محددة الاهداف والوسائل تنفذ خلال مراحل، فالقيم اشياء مرتبطة بعقل الانسان ووجدانه وما حوله من ظروف اجتماعية واقتصادية ومترسبة في نفسه عبر اجيال من بقايا ثقافات قديمة ولذلك فان العمل على اعادة تشكيلها بمشاركة وسائل الاعلام يقتضي جهدا مستمرا ومتواصلا في مسيرة واضحة الاهداف[٣].

---

(1) H. Himmelweit, "Television and child", London, Oxfoerd, University, 1958, p. 6.

(٢) فتح الباب عبد الحليم سيد، الناس و التلفزيون، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣، ص١٧.

(٣) فلاح كاظم المحنة و سؤدد القادري، الفنون الاذاعية والتلفزيونية، الموصل، دار الحكمة، ١٩٩٠، ص٦٢.

وعملية تدعيم القيم أو تحويلها هي وظيفة من وظائف التلفزيون ووسائل الاعلام بصورة عامة وكما قال الاستاذ (هارولد لاسول Lasswell) ((ان من وظائف وسائل الاعلام تثبيت القيم الاجتماعية التي يتمسك بها المجتمع ونشرها وذلك بما تقدمه هذه الوسائل من خدمات كما انها اذ تثبت هذه القيم تحاول ان تنال من القيم المغايرة (المعارضة) لقيم المجتمع وتبين مناقصها مستخدمة في ذلك الايحاء تارة والاغراء تارة اخرى))[1]. وفي اثناء عمليات التدعيم والتحويل والتغيير للقيم فيما يقدمه التلفزيون من برامج لابد من ان يصاحب ذلك بعض الآثار والذتائج السلبية ومن اهمها وابرزها (صراع القيم) فمن الطبيعي ان يحدث ذلك الصراع لان مشاهدي التلفزيون ينتمون إلى اكثر من جيل ومرحلة عمرية ولا يخفى مدى تمسك كل جيل بقيمه وعاداته وتقاليده التي رسخت فيه نتيجة لعدة عوامل واسباب، ولابد ان يحصل في احيان ليست بالقليلة تعارض ما بين هذين الجيلين (القديم) المتمثل بالآباء والاجداد و(الجديد) المتمثل بالابناء، فلكل جيل قيمه وعاداته وتقاليده وسلوكياته التي يرغبها ويعمل بها وكل جيل يحاول اثبات صحة ما يقوم به من سلوك وهنا يحدث الصراع.

ان الاجيال الناشئة تمر في مراحل نموها بالمكانة الخاصة للاعمار الصغيرة التي مر بها الآباء والاجداد ثم يصل الابناء إلى مكانة سن الرشد ويتبنون القيم المرتبطة بهذا السن وهكذا تستقر الاوضاع في المجتمع باستقرار توقعات كل جيل من الاجيال التالية له، ولكن الامر قد لايكون بهذا الاستقرار اذ قد يتعرض المجتمع نتيجة التغير السريع الذي يطرأ عليه لالوان من الصراع القيمي بين الاجيال الجديدة والاجيال القديمة، فالاجيال القديمة تنظر إلى شؤون

(١) حسن شحاتة سعفان، التلفزيون والمجتمع، مطبعة دار التأليف، ١٩٦١، ص٩.

الاجيال الجديدة بالمنظار الذي تعودت النظر من خلاله إلى شؤونها هي ولكن الاجيال الجديدة تجد نفسها واقعة تحت تأثير قوى وعوامل اجتماعية جديدة فتقاوم القيم السابقة(١).

وهكذا يقع ابناء الجيل الجديد بين فكي الرحى بسبب وجود الواقع التقليدي إلى جانب الاثر التكنولوجي والتغيير السريع في الحياة وانماط السلوك فيها(٢).

وبذلك ينشأ الصراع ويستمر لان كل جيل يرى انه هو الاصح، ويتخذ هذا الصراع (اي الصراع القيمي) صوراً عديدة مثل (الصراع بين القيم العشائرية والقيم القانونية، الصراع بين القيم الصحيحة والقيم الزائفة، القدرية والارادة الانسانية، السلفية والمستقبلية، قيم المضمون وقيم الشكل، قيم الانغلاق والانفتاح، الجمعية والفردية، الطاعة والتمرد.. الخ)(٣).

ان السبب الرئيس لصراع القيم هو اختلاف الثقافة، فاسلوب الثقافة الذي يتبناه الابن اذا كان مختلفاً بشكل جذري عن اسلوب ومستوى ثقافة الاب ومستواه فسوف يحصل هنا التعارض في القيم، فلا نجد عند الكثير من الابناء الذين يسيرون على نهج آباءهم والذين يمتلكون مستوى ثقافياً مقارباً لمستوى الآباء أي تعارض بحيث يشكل لديهم صراع، لكن الابناء الذين حصلوا على مستويات تعليمية عالية وثقافة لم يحصل عليها آباؤهم نجد في كثير من الاحيان احتمالية حدوث تعارض في وجهات النظر عن موضوع معين.

---

(١) نجيب اسكندر وآخرون، مصدر سابق، ص٢٦.
(٢) احسان محمد الحسن وخالد الجابري، مشكلات الشباب في العراق، بغداد، مجلة آداب المستنصرية العدد ١٣، ١٩٨٦، ص٢٧٤.
(٣) علي وطفة، الثقافة وازمة القيم، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد١٩٢، ١٩٩٥، ص٥٧.

ان وسائل الاعلام تتدخل بشكل أو بآخر في تكوين قيم واتجاهات الاحداث والشباب في المجتمع الحديث ازاء المواقف الاجتماعية المختلفة و هذه القيم والاتجاهات قد تختلف تماما عن اتجاهات الاباء أو الجيل السابق، الشيء الذي يعمق التغيرات البنيوية في المجتمع أي التغيرات في العلاقات السائدة بين الاعضاء والجماعات، ولعل ابرز مظاهر الانتماء ما نراه في مجتمعاتنا العربية الحديثة من تباعد بين جيل الشباب وجيل الشيوخ أو بين جيل الابناء والآباء هذا التباعد الذي عززته وسائل الاعلام وعلى رأسها التلفزيون، فهو ينقل مفاهيم وعادات قد لا تتناسب مع ما تأخذ به الاسرة من قيم وتقاليد اذ ان كثيرا من البرامج التي تعرضها التلفزيونات العربية مستوردة ولا تنسجم دائما مع البيئة الاجتماعية، واقتحام التلفزيون للاسرة في الوضع الحالي يساعد على زيادة الفجوة بين العادات والتقاليد والقيم المعروفة وبين الظروف المتغيرة الجديدة(١).

ان ما تحويه برامج التلفزيون من قيم مادية تشجع عليها من خلال تقديم نماذج للحياة المترفة جدا في الغرب واساليب الدعاية والاعلان المتطورة واستعمال احدث الاجهزة الكهربائية وتسخير التكنولوجيا والصناعة في خدمة الانسان الغربي، وما يعيشه الممثلون والمطربون من حياة بذخ وسفر وملابس وموديلات حديثة من السيارات جوانب الحياة كافة وما فيها من مظاهر المدنية التي تقدمها البرامج المستوردة المسيطرة على قنوات التلفزيون لدينا، تضع المشاهد في موقف مقارنة بين واقعه الذي يعيشه وما يراه من واقع مختلف، ومع ذلك ينبغي ان نفرق بين هذه الصورة من الترف المادي وبين أثرها في نظام القيم والخطر في هذا واضح فهو يشجع الناس على تقليد مستويات تعجز

(١) المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي، مصدر سابق، ص٢٣.

امكانياتهم عن بلوغها مما يولد لديهم احباطا شخصيا[١]. ثم يحاولون تقليدها بشكل ابسط من خلال جزء منها (الملابس، والكماليات، وتسريحة الشعر... الخ) بما يتسنى لديهم وهذا قد يشكل خلافا لما يراه الاباء من عدم ملاءمة هذه النماذج لحياتنا وهنا يحدث الصراع، والمشكلة الاخرى أيضاً هي محاولة تقليد تلفزيوناتنا المحلية والعربية للبرامج الاجنبية ومن ثم اعادة للمشكلة نفسها بشكل آخر. وقد اكدت احدى الدراسات ان اكثر الفئات العمرية التي تتعرض لهذا الصراع هم المراهقون والشباب لانهم اكثر الناس تأثرا بالتلفزيون كما اثبتت ذلك البحوث التي اجريت في هذا المجال، ان المراهقين والشباب يستمدون كثيرا من خبراتهم عن الحياة من برامج التلفزيون وان خبرتهم الواقعية محدودة ولذلك يتقبلون ما يعرضه التلفزيون من دون مناقشة بصيرة أو تفكير ناقد[٢].

ومما يدفع النشيء إلى الولع بالتلفزيون خروجا من الواقع إلى الخيال احساس الواحد منهم بوجود خلاف أو صراع بينه ووالديه على مستقبله وعلى الاعمال التي يجب ان يقوم بها لتحقيق مستقبله، وينشأ هذا الصراع من طموح الآباء الذي قد لا يتناسب مع الحاضر الذي يراه الابناء ويعيشون فيه والمستقبل الذي يحسون بقدرتهم على تحقيقه وقد اثبتت البحوث انه كلما زاد هذا الصراع أو التناقض بين النظرتين زادت مشاهدة الطفل أو الناشئ لبرامج التلفزيون ولاسيما الخيالي منها، وفي مدة المراهقة اذ تبرز شخصية المراهق ويزداد استقلالها عن الكبار واذ يميل كثير من المراهقين إلى النفور من احكام الوالدين

(١) عبد الفتاح تركي وآخرون، مفاهيم اساسية في التربية، الاسكندرية، مكتبة المعارف الحديثة، ١٩٨٤، ص٦٥.
(٢) فتح الباب عبد الحليم سيد، مصدر سابق، ص٥٨.

ويكونون اكثر خضوعا لروح جماعة الزملاء والاقران فيقل تأثير المنزل في تذوق المراهق واختياره للبرامج ويبدأ اثر جماعة الاقران[١].

ومن صور الصراع القيمي هو الخلاف عن اختيار برامج أو قنوات التلفزيون اذ يحدث في بعض الاحيان تعارض بين ما يختاره الابناء من برامج يرغبون في مشاهدتها وبين ما يراه الآباء من انها لا تصلح لابناءهم ولاعمارهم ويمنعونهم عن مشاهدتها، أو قد لا تناسب ذوقهم ومستواهم الثقافي واعمارهم فيحصل تعارض في اختيار قناة أو برنامج معين ويظهر ذلك أيضاً عندما تميل الام ومعها البنات إلى مشاهدة المسلسلات والتمثيليات والافلام وبين رغبة الذكور أو الاب في اختيار برامج اخرى (الرياضية مثلا) وتكون الغلبة طبعا لمن يحتل مركز اقوى في الاسرة.

هذه بعض اوجه العلاقة بين التلفزيون والقيم فهي علاقة مختلفة الاوجه، تارة نراه مزودا لها ولاسيما الجديد منها وتارة يؤكد على بعضها، واخرى يدعوا إلى تغيير ها، والتلفزيون داخل العائلة يلعب دوراً مزدوجا وذلك مع اعتبار التباين في طريقة توظيفه التي تتباين مع تباين الاوساط الاجتماعية، فهو يولد الصراعات من جهة ويعمل في الوقت نفسه على ازالتها واخفائها من جهة اخرى واذا كان يفجر المناقشات من جانب فانه يفرض الصمت في الجانب الآخر واذا كان يعزز العلاقات القائمة بين الاجيال في وجه ما فانه يولد فرص الصراع في وجه آخر، واذ كان ينافس العائلة في مشاريعها التربوية فانه يتحالف معها في تعزيز بعض المعطيات التربوية التي يقدمها[٢]. وهكذا يستمر

(١) المصدر نفسه، ص٥٨.
(٢) علي وطفة، جدل العلاقة التربوية بين التلفزيون والاسرة، مجلة المعلومات، الاردن، العدد ٤٢، ١٩٩٦، ص٦.

هذا الجهاز ذو الحدين في حياتنا، بعضنا ينظر اليه نظرة سلبية بحتة لانهم يدركون خطورة هذا الجهاز السحري على تنشئة ابناءهم ويحسون بالقلق الدائم وبفقدان القدرة على غرس القيم والاخلاق السليمة في نفوس ابناءهم ما دام التلفزيون بما يسقطه يوميا عبر برامجه ومسلسلاته وافلامه من مؤثرات تناقض في كثير من الاحيان ما يسعون إلى غرسه وبنائه ويجعل جهودهم وكأنها تصب في وعاء مثقوب(١).

وآخرون ينظرون اليه بنظرة ايجابية على انه وسيلة ترفيهية تثقيفية مسلية، وبين هذه النظرة وتلك تبقى النظرة الثالثة (وهي التي نؤيدها نحن) أي الوسط بينهما من حيث ان بعض البرامج فيها قيم وافكار سلبية، وبرامج اخرى ثقافية مسلية ايجابية، ونحن نقول انه يشمل ذلك كله وتبقى الايجابية والسلبية ناجمة من الاشخاص المسؤولين عن اعداد البرامج واختيارها للتقديم ولجان الفحص والتقويم في التلفزيون، فنحن لسنا سوى متلقين لما يعرضونه لنا ، وهم مسؤولون عن الآثار السلبية والايجابية الناجمة من البرامج المعروضة وهم مسؤولين عن اذواقنا ومشاهداتنا لذا فمن الضروري جدا ان تكون هذه اللجان على مستوى عالٍ من الثقافة والدراية باذواق المشاهدين وقيمهم وثقافتهم ومدركة للاثار الناجمة من كل برنامج أو مسلسل يعرض، ولها تصور اولي عن المواد التلفزيونية قبل عرضها لمعرفة ما هو مسموح به للعرض، وان تضم هذه اللجان مختصين في مجالات (الدين والاجتماع والاعلام وعلم النفس) ولا تقتصر على موظفين ذوي خبرة سابقة في العمل التلفزيوني على الرغم من اهمية هذه الخبرة إلى انها لا تسد مكانة المختصين في العلوم سالفة الذكر.

(١) فتح الباب عبد الحليم سيد، مصدر سابق، ص٦١.